

دائـــــرة الشـــؤون الإســــلامـيـة
والعــمـــل الخـــيري

ISLAMIC AFFAIRS & CHARITABLE
ACTIVITIES DEPARTMENT

حـكــومــــــة دبـــي
GOVERNMENT OF DUBAI

الإمام القرافي
وتجربته في الحوار مع الآخر

د. عبدالحكيم الأنيس
كبير باحثين بإدارة البحوث

تدقيق التصحيح

شروق محمد سلمان

إخراج

محيي الدين حسين يوسف

الطبعة الأولى

١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨ م

دائرة الشؤون الإسلامية والعمل الخيري بدبي

إدارة البحوث

هاتف: ٦٠٨٧٧٧٧ ٤ ٩٧١+ فاكس: ٦٠٨٧٥٥٥ ٤ ٩٧١+

الإمارات العربية المتحدة ص. ب: ٣١٣٥ - دبي

mail@iacad.gov.ae www.iacad.gov.ae

بسم الله الرحمن الرحيم

افتتاحية

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومَنْ تبعهم بإحسان إلى يوم الدين..

وبعد: فيسر « **دائرة الشؤون الإسلامية والعمل الخيري بدبي - إدارة البحوث** » أن تقدِّم إصدارَها الجديد « **الإمام القرافي وتجربته في الحوار مع الآخر** » لجمهور القراء من السادة الباحثين والمثقفين والمتطلعين إلى المعرفة.

وهذه الرسالة تتولى الكشف عن تجربة مميزة لعالم مميز من علماء المسلمين في حواره مع الآخر في ميدان الأديان.

ونحن اليوم بأمس الحاجة إلى إبراز التجارب الغنية الناصعة التي تسدد المسار، وترشد المنهج، وتضع تحت يدي القائمين على مثل هذه الحوارات معلومات مهمة، وتفتح لهم آفاقاً واسعة.

وهذا الإنجاز العلمي يجعلنا نقدم عظيم الشكر والدعاء **لأسرة آل مكتوم** حفظها الله تعالى التي تحب العلم وأهله، وتؤازر قضايا الإسلام والعروبة بكل تميز وإقدام، وفي مقدمتها **صاحب السمو الشيخ محمد بن راشد بن سعيد آل مكتوم**، نائب رئيس الدولة، رئيس مجلس الوزراء، حاكم دبي الذي يشيد مجتمع المعرفة، ويرعى البحث العلمي ويشجع أصحابه وطُلابه .

راجين من العلي القدير أن ينفع بهذا العمل، وأن يرزقنا التوفيق والسداد، وأن يوفق إلى مزيد من العطاء على درب التميز المنشود.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على النبي الأمي الخاتم سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

مدير إدارة البحوث

الدكتور سيف بن راشد الجابري

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله، وصلى الله وسلم على نبيه ومصطفاه، وعلى آله وصحبه ومن والاه.

وبعد: فإن للحوار قيمة كانت وما زالت موضع تقدير واحترام، إذ به يتم التواصل بين المختلفين والمتفقين، وتستخرج الآراء، وتنمو الأفكار، ويُكتشف المجهول، ويُنقح المعلوم، وقد رعت الحضارة الإسلامية الحوار بأقسامه وأنواعه المتعددة، حوار المسلم مع المسلم، ومع غير المسلم، وحوار الداخل والخارج، وحوار المذهب والمشرب، ومن ذلك حوار الأديان، وكان لعلماء المسلمين في كل ذلك صولات وجولات، وإسهامات كبيرة كُشف عن بعضها، وما زال البعض الآخر بحاجة إلى كشف وتجلية.

وفي هـذه الصفحـات أتنـاول التعريـف بجهود عالم مـن هؤلاء العلماء عاش في القرن السـابع الهجري، ورأى الـصراع في العـالم: بـين الـشرق والغـرب، بين الإسـلام والنصرانيـة والوثنيـة، صراع الفكـر والسـيف، والعلـم والجهل، والإنصاف والعصبية، والحضارة والتخلف، ولما كان هـو من أهل الفكر فقد دخـل ميدان الصراع من هذا البـاب، محاوراً ومناظـراً ومجادلاً، وأجاب عن الشـبهات والأسـئلة التـي يعرضهـا الطـرف الآخر، وطرح أسـئلة كثـيرة جداً على هذا الطـرف تبين قوة الموقف الإسـلامي وصلابتـه، وزاد عـلى هذا باسـتخراج نصـوص من كتب القـوم تبـشر بالنبي ﷺ، فكشـف بهذا عن علـم عميق بما لدى الآخرين من عقيدة وثقافة وسـلوك، ذلك هو الإمام شـهاب الديـن القـرافي «شـيخ المعقولات في عـصره» (١)

(١) وصفـه بهذا الإمـام فتح الدين محمد ابن سـيد النـاس. الوافي بالوفيات (٢/ ١٢٢).

صاحب كتاب «الأجوبة الفاخرة عن الأسـئلة الفاجـرة» الـذي احتـل مكانة بـارزة في سلسـلة الكتـب التي تولت الدفاع عن الإسلام، بدحض الشبهات وإظهار المحاسن، والدعوة إلى الله على بصيرة.

وقد تناولت الحديث عنه - بعد درس كتابه «الأجوبة الفاخرة» هذا [1] دراسة متأنية - تحت العناوين الآتية:

١ - التعريف به وبكتابه.

---

(١) أمـا «أدلـة الوحدانية في الرد عـلى النصرانية» المطبوع منسـوباً إليـه فلـم أعتمده فمـن الواضح أنـه ليس لـه، إذ قدّمه مؤلفه إلى السـلطان الكامـل [الأيوبـي] كـما في مقدمتـه ص ١٩-٢٠، وهـو قـد توفي سـنة ٦٣٥هـ كما في سـير أعـلام النبلاء (٢٢/ ١٣١)، وولـد القرافي سـنة ٦٢٦هـ كما قال عن نفسـه في العقد المنظوم (١/ ٥٥٠)، ثم إن أسـلوبه لا يشـبه أسلوب القرافي، وللكلام صلة.

٢- أساليبه في الحوار:

أ) أسلوب الدفاع، وتمثل في:

١- الرد على الشبهات المكتوبة.

٢- الرد على أسئلة مثارة، متداولة ومتوقعة.

ب) أسلوب الهجوم، وتمثل في:

١- إيراد أسئلة على الطرف الآخر.

٢- إيراد البشائر بالنبي ﷺ من كتبهم.

٣- أهدافـــه:

أ) تقوية المسلمين وتثبيتهم.

ب) دعوة الآخر إلى الإسلام.

٤- لغته.

٥- مصادره.

٦- ملامح عامة في حواره.

٧- نتائج البحث والتوصيات.

ومن الله نستمد العون والتوفيق[1].

د. عبد الحكيم الأنيس

---

(١) أصل هذه الرسالة بحث شاركت به في مؤتمر «الحوار مع الآخر في الفكر الإسلامي» الذي عقدته كلية الشريعة بجامعة الشارقة بالتعاون مع دائرة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالشارقة في الأيام ١٦-١٨ من نيسان (٢٠٠٧م).

١ - التعريف بالقرافي وكتابه:

هــو الإمام الكبير أحمد بن إدريس القرافي الصنهاجي الأصــل[1]. أصله من قريــة بكورة بوش من صعيد مصر،

(١) تنظر ترجمته في:
- تاريـخ الإسـلام ط عمـر تدمـري (٥١/ ١٧٦) وترجمتـه مضافة عليه، ولم ترد في طبعة د. بشار عواد معروف.
- الـوافي بالوفيـات (٦/ ٢٣٣)، وله ذكر في ترجمـة القرطبي المفسر (٢/ ١٢٢)، وكانا صديقين.
- الديباج المذهب (١ / ٢٣٦).
- المنهل الصافي (١/ ٢٣٢).
- الدليل الشافي على المنهل الصافي (١/ ٣٩)
- تحفة الأديب في نحاة مغني اللبيب (٢/ ٦٧٢).
- حسن المحاضرة (١/ ٢٧٢).
- درة الحجال في أسماء الرجال (١/ ٨)
- كشف الظنون (مواضع متعددة).
- تذكرة المحسنين بوفيات الأعيان وحوادث السنين ص ٤٣٠.
- روضات الجنات (١/ ٣٤٧).
- هدية العارفين (١/ ٩٩)
- إيضاح المكنون (مواضع متعددة). =

وقد ولد فيها سنة ٦٢٦هـ، ورحل إلى القاهرة لطلب

= - معجم المطبوعات العربية والمعربة ص ١٥٠١.
- السر المصون على كشف الظنون ص ١٣٧ و ٢٤٧
- شجرة النور الزكية ص ١٨٨.
- الفكر السامي (٢/ ٢٣٣).
- الأعلام (١/ ٩٤).
- معجم المؤلفين (١/ ١٠٠).

*** ومن الدراسات الحديثة:**

- مقدمة كتاب «الإحكام» تحقيق الأستاذ أبو غدة ص ٢١-٢٩.
- مقدمة كتاب «الاستغناء» تحقيق د. طه محسن ص ٦-٣٣
- مقدمة كتاب «الذخيرة» تحقيق محمد حجي وآخرين (١/ ٩-١٥).
- مقدمة كتاب «العقد المنظوم» تحقيق محمد علوي بنصر (١/ ٣٤-٥٧).
- مقدمة كتاب «العقد المنظوم» تحقيق د. أحمد الختم عبدالله (١/ ٣٠-٦١).
- مقدمة كتاب «الفروق» تحقيق عمر القيام (١/ ٢٠-٣٤).
- وللدكتور طه محسن: «أسماء الكتب التي خلفها شهاب الدين القرافي الفقيه المهندس» مقال في مجلة الرسالة الإسلامية ببغداد، العدد (١٥٣)، ١٩٨٣م.

العلم، ونسب إلى القرافة لأنه سكنها مدة يسيرة، وأخذ عن أئمة العصر، وتميّز واشتهر، ودرَّس في عدد من المدارس، وألَّف في عدد من العلوم، وتوفي سنة ٦٨٤هـ - على الصحيح -، ودفن في القرافة التي نُسب إليها.

وكان من مفاخر عصره علماً وتفنناً، وتوقداً وذكاءً، وتنقيحاً وتصحيحاً.

أقوال العلماء فيه:

* قال الذهبي - ومن بعده الصفدي وابن تغري بردي-: « كان إماماً في أصول الدين، وأصول الفقه، عالماً بمذهب مالك، وبالتفسير، وعلوم أُخر ... صنف في أصول الفقه الكتب المفيدة الكثيرة، واستفاد منه الفقهاء ».

❊ وقال ابن فرحون: « هو الإمام الحافظ، والبحر اللافظ، المفوه المنطيق، والآخذ بأنواع الترصيع والتطبيق، دلت مصنفاته على غزارة فوائده، وأعربت عن حسن مقاصده، جمع فأوعى، وفاق أضرابه جنساً ونوعاً ».

❊ وقال عبد الكبير الفاسي: « الإمام المتبحر في علوم الدين، المعدود من الأئمة المجتهدين ».

❊ وقال مخلوف: « الإمام العلامة، الحافظ الفهامة، وحيد دهره، وفريد عصره، المؤلف المتفنن، شيخ الشيوخ، وعمدة أهل التحقيق والرسوخ، ومصنفاته شاهدة له بالبراعة، والفضل واليراعة ».

❊ وقال الزركلي: « كان مع تبحره في عدة فنون، من البارعين في عمل التماثيل المتحركة في الآلات الفلكية وغيرها ... ».

كتابه « الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة »:

لم يكن القرافي مكثراً من التأليف، ربما لأنه لم يعمر كثيراً، وربما لأنه كان ينصرف إلى تجويد كتبه تجويداً بالغاً، وربما للسببين معاً، وقد كان حريصاً على تحرير العلوم، منصرفاً إلى ذلك، قال الشيخ شمس الدين ابن عدلان الشافعي: أخبرني خالي الحافظ شيخ الشافعية بالديار المصرية أن شهاب الدين القرافي حرر أحد عشر علماً في ثمانية أشهر، أو قال: ثمانية علوم في أحد عشر شهراً [(١)].

وكتابه « الأجوبة الفاخرة » من الكتب المحررة الجادة، وقد افتتحه بمقدمة بين فيها سبب تأليفه، وخطته في ترتيبه على أربعة أبواب، ونصَّ على اسمه.

وقد حاولت معرفة تأريخ تأليفه فلم أستطع إذ لم أجد فيه ما يساعد على ذلك، لكني رأيته أحال على كتبه

---

(١) الديباج المذهب (١/ ٢٣٨).

الكلامية ومنها شرح الأربعين للإمام فخر الدين الرازي، مما يشير إلى أنه متأخر نوعاً ما.

وهذا الكتاب نسبه إليه ابن فرحون [1].

وطبع أول مرة على هامش كتاب الفارق بين المخلوق والخالق للباجه جي بمصر سنة ١٣٢٢هـ.

ثم قام بتحقيقه الدكتور بكر زكي عوض على نسختين في دار الكتب المصرية، وطبع طبعته الثانية سنة ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م وجاء في (٤٨٤) صفحة مع تعليقات مطولة.

وعلى الرغم من الجهد الذي بذله المحقق إلا أن الكتاب ما زال بحاجة إلى تحقيق جديد يُدَّقق فيه نصه، ويُضبط، ويُربط بمصادره المطوية، ويُصف بحرف جميل. وقد وقعت للمحقق هفوات في قراءة النص، وفي بعض

---

(١) الديباج المذهب (١/ ٢٣٧).

التعليقات، وليس هذا موضع بيانها، كما أنه لم يقم بدراسة تحليلية له.

ثم طبعته دار الكتب العلمية ببيروت ثم دار ابن الجوزي بمصر!

وعلمت من مقدمة الأستاذ محمد علوي بنصر لـ «العقد المنظوم» أن الباحث سالم القرني حقق بابين من الكتاب في رسالة ماجستير سنة ١٤٠٤هـ في كلية أصول الدين بجامعة الإمام في الرياض [١].

وله سبع عشرة نسخة خطية ذكرها محقق كتاب الاستغناء ص ٢٤-٢٥.



(١) العقد المنظوم (١/ ٤٦).

٢- أساليبه في الحوار:

اتبع القرافي في حواره أسلوبين:

أسلوب الدفاع، ثم أسلوب الهجوم.

أ) أسلوب الدفاع:

وقد تمثل هذا الأسلوب في خطوتين:

الخطوة الأولى: الرد على الشبهات المكتوبة من قبل الطرف الآخر، وبيان الموقف الإسلامي منها.

والخطوة الثانية: الرد على أسئلة مثارة متداولة ومتوقعة.

وفيما يلي بيان ذلك:

١ - الرد على الشبهات المكتوبة:

ذكـر القرافي أن بعض النصارى قد أنشـأ رسـالة على لسان النصارى مشيراً أن غيره هو القائل، وأنه هو السائل، مشتملة على الاحتجاج بالقرآن الكريم على صحة مذهب النصرانيـة. فوجده قد التبس عليه المنقول، وأظلمت لديه قضايا العقول، إذ إن القرآن وكتبهم دالة على صحة مذهبنا وإبطال مذهبهم كما قال [(١)]. فنهض ليبين ذلك.

ويبدو أن كتابة الشـبهات وإذاعتها عادة لهم فقد ذكر الشـيخ ابـن تيمية (٦٦١ - ٧٢٨ هـ) كذلـك أن كتاباً ورد من قبرص فيه الاحتجاج لدين النصارى، بما يحتج به علماءُ دينهم وفضلاءُ ملتهم قديماً وحديثاً، من الحجج السـمعية والعقليـة، قـال: « فاقتضى ذلـك أن نذكر مـن الجواب ما

---

(١) الأجوبة الفاخرة، ص ٤٧.

يحصل به فصل الخطاب، وبيان الخطأ من الصواب »[1].

ثـم بـيَّن أنَّ مـا ذكـروه في هـذا الكتاب هـو عمدتهم التـي يعتمـد عليهـا علماؤُهـم في زمنـه، وقبل زمنـه، وإن كان بعضهـم قد يزيد على بعض بحسـب الأحوال، قال: « فـإنَّ هـذه الرسـالة[2] وجدناهـم يعتمـدون عليها قبل ذلـك، ويتناقلهـا علماؤهـم بينهم، والنسـخ بهـا موجودة قديمـة، وهي مضافة إلى «بولص» الراهب أسـقف صيدا الأنطاكي» [3].

وبعـد هـذا ذكر أن مضمون ذلك سـتة فصول، وقد سردهـا[4].

---

(١) الجواب الصحيح (١/ ٩٨).

(٢) سماها قبلُ كتاباً في موضعين.

(٣) الجواب الصحيح (١/ ٩٩-١٠٠).

(٤) المصدر السابق (١/ ١٠١-١٠٤).

وهذه الفصول تشترك مع الشبهات التي وقف عليها القرافي في أمور، وتختلف في أمور، مما يدل على أنها غيرها، لكن المصب واحد.

ويلحظ أن القرافي لم يذكر اسم مؤلف الرسالة ولا تاريخها، ولم يتوقف المحقق عندها أيضاً، لكن من المرجح أن كتابه أسبق من كتاب ابن تيمية، إذ توفي القرافي ولابن تيمية (٢٣) سنة، ومهما يكن فإن هذا يدل على أن إثارة الشبهات كان منهجاً قائماً متكرراً، وأن علماء الإسلام كانوا يقبلون التحدي فيجيبون على هذه الشبهات ويدافعون عن الإسلام عقيدةً وشريعةً، ويزيدون على هذا بالمبادرة والهجوم على الطرف الآخر كما فعل القرافي، مما شكل حركة علمية واسعة.

وقد شارك في هذه الحركة في القرن السابع: الإمام المحدث أحمد بن عمر القرطبي (ت: ٦٥٦هـ) فله:

الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام[1].

---

(١) لم يجزم محققه الدكتور أحمد حجازي السقا برأي في مؤلفه الحقيقي، وكذلك الدكتور أحمد بن عبد الله جود في كتابه « علم الملل ومناهج العلماء فيه » ص ١٨٤، وقد ذكر أسماء من نسبه إلى القرطبي المفسر ومن نفاه عنه، وختم تعليقه بقوله: إن الأمر يحتاج إلى مزيد من التحقيق والدراسة. وذكره الشيخ مشهور حسن سلمان للقرطبي المفسر في كتابه عنه « الإمام القرطبي شيخ أئمة التفسير» ص ١٤٢-١٤٣، وأثبت الدكتور محمد بن إبراهيم أبا الخيل في مقال له على شبكة المعلومات الدولية تحت عنوان: « هل القرطبي المفسر هو مؤلف كتاب « الإعلام »، أثبت أنه للقرطبي المحدث (ت:٦٥٦هـ). وكذلك فعل الباحث سمير القدوري في مقاله « من هو القرطبي الذي رد على كتاب تثليث الوحدانية لنصارى طليطلة »، وفي بحثه « رحلات أحمد بن عمر الأنصاري القرطبي (ت: ٦٥٦هـ) في المغرب والمشرق ومؤلفاته العلمية » المنشور في مجلة مكتبة الملك فهد الوطنية، المجلد الثاني، العدد (١١) (٢٠٠٥-٢٠٠٦م)، والمقال والبحث منشوران على شبكة المعلومات الدولية أيضاً .

والشيخ عبدالعزيز بن أحمد الديريني (ت: ٦٩٤هـ) فله: «إرشاد الحيارى في الرد على النصارى». ومن الواضح أنه أفاد من كتاب القرافي.

ومن بعدهم الشيخ سليمان بن عبدالقوي الطوفي (ت: ٧١٦هـ) فله كتب في هذا المجال منها: «الانتصارات الإسلامية في كشف شبه النصرانية» وثلاثتها مطبوعة.

أما الشبهات التي جاءت في الرسالة التي ذكرها القرافي فهي خمس عشرة شبهة وهي هذه:

الشبهة الأولى: أن محمداً لم يُبعث إليهم، فلا يجب عليهم اتباعه، وإنما أُرسل إلى العرب خاصة، وأنه لا يلزمهم إلا مَنْ جاءهم بلسانهم، وأتاهم بالتوراة والإنجيل بلغاتهم[1].

---

(١) الأجوبة الفاخرة ص ٦٨ .

الشبهة الثانية: أن القرآن ورد بتعظيم عيسى، وبتعظيم أمه مريم، وأن هذا هو رأيهم واعتقادهم فالدينان واحد فلماذا ينكر المسلمون عليهم [1].

الشبهة الثالثة: أن القرآن وَرَدَ بأن عيسى روح الله تعالى وكلمته. وأن هذا هو اعتقادهم [2].

الشبهة الرابعة: أنه ورد في القرآن: ﴿ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۖ ﴾ [آل عمران: ٥٥] [3].

الشبهة الخامسة: أن القرآن شهد بتقديم بيع النصارى وكنائسهم على مساجدالمسلمين بقوله تعالى: ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَـٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ ﴾ [الحج: ٤٠] [4].

---

(١) الأجوبة الفاخرة ص ٧٧ .

(٢) المصدر السابق ص ٨١ .

(٣) المصدر السابق ص ٩١ .

(٤) المصدر السابق ص ٩٤-٩٥ .

الشبهة السادسة: أن القرآن دلَّ على تعظيم الحواريين والإنجيل، وأنه غير مبدل بقوله تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ [المائدة: ٤٨] - أي من التوراة والإنجيل - وإذا صدقهما لا تكون مبدلة، ولا يطرأ التغيير عليها بعد ذلك، لشهرتها في الأعصار والأمصار، فيتعذر تغييرها [(١)].

الشبهة السابعة: أن القرآن أثنى على أهل الكتاب بقوله تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١﴾ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٣﴾ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ﴿٤﴾ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٥﴾ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ﴿٦﴾ ﴾.

وبقوله تعالى: ﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ ﴾ [العنكبوت: ٤٦]. والظالمون هم اليهود عَبَدة العجل وقتلة الأنبياء.

---

(١) الأجوبة الفاخرة ص ٩٨ - ٩٩ .

وبقوله تعالى: ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ [المائدة: ٨٢] فذكر حميد صفاتهم وجميل سجاياهم ونفى عنهم الشرك بقوله: ﴿ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْۖ ﴾.

وسوى بينهم وبين غيرهم بقوله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [البقرة: ٦٢] [١].

الشبهة الثامنة: أن القرآن مدح القربان [يقصدون المائدة!] وتوعدهم إن أهملوا ما متعوا به كما في سورة المائدة الآيات (١١٢ – ١١٥) [٢].

---

(١) الأجوبة الفاخرة ص ١٢٣ – ١٢٤.

(٢) المصدر السابق ص ١٢٧ .

الشبهة التاسعة: أن الله أخبر خبراً جازماً أنهم يؤمنون بعيسى بقوله تعالى: ﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ﴾ [النساء: ١٥٩] فكيف يتبعون من أخبر الله أنه شاك في أمره بقوله: ﴿ وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ [سبأ: ٢٤] [(١)].

الشبهة العاشرة: أنه ليس من عدل الله أن يطالبهم باتباع رسول لم يرسله إليهم، ولا وقفهم على كتابه بلسانهم [(٢)].

الشبهة الحادية عشرة: أنه لو علم المسلمون مرادهم بالأب والابن والروح القدس لما أنكروا عليهم فإن مرادهم بالأب الذات، وبالابن النطق الذي هو قائم بتلك الذات، وبروح القدس الحياة. الثلاثة إله واحد.

---

(١) الأجوبة الفاخرة ص ١٢٩ - ١٣٠ .

(٢) المصدر السابق ص ١٣٥ .

وهـذه الثلاثة يعتقدها المسـلمون!... وقـد أطال في شرح هذه الشبهة [1].

الشـبهة الثانية عشرة: أن احتجاجهـم ببعض القرآن لا يلزمهـم بقيته، لأنـه كمكتوب أخرجـه صاحب الدين بمئـة دينـار. وفيـه مكتوب أنه قـد وفا، فإن ذلـك لا ينفع المديون[2].

الشـبهة الثالثة عشرة: أن إطلاقهـم لفظ ابن والروح والأقانيـم كإطـلاق المتشـابه عند المسـلمين مـن لفظ اليد والعين ونحوها [3].

الشـبهة الرابعة عـشرة: إطلاقهـم « الجوهر » على الله ودعواهم أنَّ هذا الإطلاق ليس بمنكر[4].

---

(١) الأجوبة الفاخرة ص ١٣٦ - ١٣٨ .

(٢) المصدر السابق ص ١٥٠ .

(٣) المصدر السابق ص ١٥٠ .

(٤) المصدر السابق ص ١٥٢ .

الشبهة الخامسة عشرة: دعواهم أن الله تعالى له عدل وفضل، وقد تحقق العدل بشريعة موسى، وتحقق الفضل بكلمته عيسى، فحصل غاية الكمال ولم يبق بعد الكمال إلا النقص[1]. ويقصدون بذلك الاستغناء عن شريعة النبي ﷺ.

هذه هي الشبهات التي وردت في الرسالة، وقد أوردها القرافي كما هي حرفاً حرفاً، ورد عليها واحدة واحدة، وكان في بعضها يقول إن الرد من وجوه كما في الشبهة الأولى والثانية والثالثة - وكان الرد هنا من ثلاثة وجوه -، والخامسة - وكان الرد هنا من أربعة وجوه -، وفي البقية كان يسرد الرد سرداً، ولا يدع ممّا استدل به الطرف الآخر شيئاً، مع أنه قال في المقدمة أنه سلك مسلك الاقتصاد لأنه يراهم قوماً عاجزين عن

(١) الأجوبة الفاخرة ص ١٥٤ - ١٥٥ .

تصويـر دينهـم فضلاً عـن إقامة الدليل عليـه فكيف يليق بالعاقل أن يؤهلهم للحديث معهم؟ [(١)]

وكان مـن أطـول الردود رده على الشـبهة السادسـة التـي جاء فيهـا أن الإنجيل غير مبدل فقـد تحدث هنا عن الأناجيـل، وبـيَّن أنها خمسـة، يعرف النصـارى منها أربعة مشهورة، والخامس لا يعرفه إلا القليل منهم، وقد عددها ووصفهـا، ثـم سَرَدَ (١٥) تناقضاً وقع فيهـا قال: « لتعلم تغييرهـا وتبديلهـا وعـدم الوثوق بـشيء منهـا. فإنه ليس البعض بأولى من البعض» [(٢)].

أما في رده على الشبهة الخامسة عشرة فقد ختمه ببيان محاسن الشريعة المحمدية، وذكر منها وجوهاً بلغت عشرة وجـوه [(٣)]. وختمها بقوله: « ولنقتصر عـلى هذه النبذة في

(١) الأجوبة الفاخرة ص ٦٨ .

(٢) المصدر السابق ص ١١٠ – ١٢٣ .

(٣) المصدر السابق ص ١٦٤ – ١٦٦ .

هذا المختصر اللطيف، وإلا فمحاسن الشريعة لا يحصى عددها، ولا يخبو زندها »[1].

٢- الرد على أسئلة مثارة متداولة ومتوقعة:

وهذه هي الخطوة الثانية التي سلكها القرافي في حواره مع الآخر وهي إحصاؤه خمسة عشر سؤالاً كانوا ولعين بإيرادها[2] وقد « عبثوا بها » - كما قال - وهذا يعني أنها متداولة، وهي متوقعة كذلك، لذلك ذكرها وأجاب عليها « تكميلاً للفائدة »[3]، وهذه الأسئلة هي:

السؤال الأول: عن توافر شروط التواتر في الإخبار عن صلب المسيح[4].

---

(١) الأجوبة الفاخرة ص ١٧٦ .

(٢) المصدر السابق ص ٤٨ .

(٣) المصدر السابق ص ١٧٩ .

(٤) المصدر السابق ص ١٧٩ - ١٨٠ .

السؤال الثاني: قولهم إن القول بإلقاء الشبه على غير عيسى يفضي إلى السفسطة والدخول في الجهالات وما لا يليق بالعقلاء [1].

السؤال الثالث - يشترك فيه اليهود والنصارى - وهو أن كون الشريعة المحمدية نسخت كثيراً من أحكام التوراة محال لأنَّ القول بالنسخ يقتضي تجويز البدء أو الندم على الله، وهو محال فالنسخ محال [2].

السؤال الرابع: أن القرآن يشتمل على ما ليس بصحيح فلا يكون من عند الله كقوله: ﴿ وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا ﴾ [التحريم: ١٢] ومريم ليست ابنة عمران... [3].

---

(١) الأجوبة الفاخرة ص ١٩٠ .

(٢) المصدر السابق ص ١٩٩ - ٢٠١ .

(٣) المصدر السابق ص ٢٠٧ - ٢٠٨ .

السؤال الخامس: - وهو متمم للرابع - من أَنَّ جَعْلَ مريـم أختاً لهـارون مما يسـتدرك على المسـلمين لأن بينهما ست مئة سنة [(١)].

السـؤال السـادس: دعـوى ألوهية المسـيح لأنه أحيا الموتى [(٢)].

السـؤال السـابع: دعـوى اليهـود بطـلان نبـوة عيسى [(٣)].

السـؤال الثامن: دعـوى أن النعيم الجسـماني في الجنة الذي يثبته المسلمون غير ممكن لأنه من النقائص[(٤)].

السـؤال التاسـع: دعوى سـلامة التوراة من التبديل

---

(١) الأجوبة الفاخرة ص ٢٠٩ .

(٢) المصدر السابق ص ٢١٠ - ٢١١ .

(٣) المصدر السابق ص ٢٢٣ - ٢٢٤ .

(٤) المصدر السابق ٢٢٧ - ٢٢٨ .

والتغيير بحجة انتشارها في الأرض وهي على نظام واحد[1].

السؤال العاشر: دعوى اليهود والنصارى أنَّ الإسلام ظهر بالسيف[2].

السؤال الحادي عشر: دعوى النصارى أن القرآن ناطق بجواز الاتحاد فلا ينكر عليهم هذا [3].

السؤال الثاني عشر: دعوى النصارى أن القرآن دلَّ على الاتحاد في حق عيسى دون غيره [4].

السؤال الثالث عشر: قولهم إن المسلمين ليسوا على ثقةٍ ممّا بأيديهم من القرآن لوجود الخلاف في جمعه، ومن

---

(١) الأجوبة الفاخرة ص ٢٣٨ .

(٢) المصدر السابق ص ٢٦٣ .

(٣) المصدر السابق ص ٢٦٧ – ٢٦٨ .

(٤) المصدر السابق ص ٢٧٢ – ٢٧٣ .

ذلك الخلاف بين ابن مسعود وعثمان [1].

السؤال الرابع عشر: قولهم: إن المسلمين على ضلال في دينهم لأن نبيهم قال لهم عند موته: هلموا اكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً، فمنعهم عمر من ذلك وقال: حسبنا كتاب ربنا. وإذ لم يكتب لهم فقد ضلوا جزماً [2].

السؤال الخامس عشر: قولهم: إن المسلمين يعيرون النصارى بأن أناجيلهم أربعة، مع أن قرآنهم عن سبعة قراء مختلفين اختلافاً شديداً. بل عشرة بل أكثر من ذلك، فاختلافهم أعظم من اختلافنا [3].

وقد أجاب القرافي على هذه الأسئلة إجابات شافية من وجوه، فقد أجاب على الأول بثلاثة وجوه، وعلى الثاني

---

(١) الأجوبة الفاخرة ص ٢٧٣ - ٢٧٥ .

(٢) المصدر السابق ص ٢٧٧ .

(٣) المصدر السابق ص ٢٧٩ - ٢٨٠ .

بستة، وعلى الثالث بعشرة، وعلى الرابع والخامس بوجهين، وعلى السادس بثمانية، وعلى السابع بثلاثة، وعلى الثامن بأحد عشر وجهاً، وعلى التاسع بثمانية عشر وجهاً، وعلى العاشر بثلاثة. وسرد الجواب على الباقي بلا وجوه.

ومما يجب أَنْ يُنوه به هنا أمانة القرافي وإنصافه في إيراد هذه الأسئلة على المسلمين مع ما احتوت عليه من شبهات ومغالطات، مع أن الطرف الآخر قد اتبع أسلوب التحريف في ذكر الشبهات المكتوبة، ولا عجب في ذلك فإن القرافي يقف على أرض صلبة فهو غير خائف من أي شبهة تذكر، أو مغالطة تسطر، وهكذا مَنْ يعتقد أنه على الحق. وهذه الأمانة والإنصاف في حكاية أقوال الخصوم درسٌ عظيم على مَنْ يحترم نفسه أَنْ يلتزم به في حياته وحواره وكتاباته، وهذا يضفي قوة على قوته، ويضيف انتصاراً إلى انتصاراته.

ب) أسلوب الهجـوم:

هذا هو المنهج الثاني الذي اتبعه القرافي، فبعد أن دفع الشـبهات وأجاب على الأسـئلة، ودافع عن الدين وكتابه ونبيه، سـلك طريقاً آخر هو الهجوم، وقد تمثل هذا المنهج في خطوتين:

الخطوة الأولى: إيراد أسئلة كثيرة على الطرف الآخر، وقـد بلغت هذه الأسـئلة (١٠٧) سـؤال، بينـما لم تتجاوز شبهات الآخرين وأسئلتهم (٣٠) شبهة وسؤالاً.

والخطـوة الثانية: إيراد البشـائر بالنبـي محمد ﷺ من كتـب اليهود والنصارى، وفي ذلك تدعيم للخطوة الأولى وتكميل لها.

١ - إيراد أسئلة على الطرف الآخر:

وهذه كما قال: « معارضة لأسئلتهم، ودامغة لكلمتهم وملتهم »[1].

ولما كان المجال لا يسمح باستعراض هذه الأسئلة كلها فقد قمت بقراءتها ومحاولة تصنيفها تحت عناوين جامعة، لأخذ تصور عام عن هذه الموضوعات التي عرض القرافي الحوار والمناقشة فيها على الطرف الآخر، والموضوعات هي:

- رد ربوبية المسيح وبيان أنه بشر نبي: (السؤال: ١، ٢، ٣، ٤، ٥، ٦، ٧، ٨، ٩، ١١، ١٤).
- رد عقيدة الصلب، وما يتعلق بها: (السؤال ١٠، ١٢، ١٣، ١٥، ١٦، ١٧، ٦٢).

---

(١) الأجوبة الفاخرة ص ٢٨٧ .

- عـن الاتحـاد، وحقيقة اللاهـوت والناسـوت، والقول بالثالوث: (السؤال ١٨، ١٩).

- عـن «الأمانة» وكونها لا أصل لها في شرع الإنجيل، ولا مـن قول تلاميـذه، وما يلزمهم من الإيـمان بها والعمل بمقتضاهـا: (السـؤال ٢٠، ٢١، ٢٢، ٢٣، ٢٤، ٢٥، ٢٦، ٢٧، ٢٨، ٢٩، ٣٠، ٣١، ٣٢، ٣٣، ٣٤، ٣٥، ٣٦، ٣٧، ٣٨، ٣٩، ٤٠، ٤١).

- عن الأقانيم: (السؤال ٤٢).

- رد كون عيسـى ابن الله وأسئلة عن مستنداتهم في ذلك، ومـا حصـل لهم مـن تناقض فيـه: (السـؤال ٤٣، ٧٥، ٧٦).

- عـن أكل خبـز المسـيح وشرب خمر المسـيح: (السـؤال ٤٤).

- عن تركهم الختان: (السؤال ٤٥) وهو من أطول الأسئلة

لاستطراده إلى الكلام على بولس وتغييره الدين، وقد تطرق إلى فوائد الختان، وعد منها خمس فوائد.

- عن نزول مريم على دار المطران بطليطلة: (السؤال ٤٦).

- عن صلاتهم للمشرق، وتركهم الاستنجاء، وصلاتهم بغير طهارة، وتضرعهم إلى رجل من بني آدم: (السؤال ٤٧، ٤٨).

- عن الاعتراف ومساوئه: (السؤال ٤٩).

- عن زيادتهم جمعة في صومهم، وتركهم أكل اللحم فيه، وصيامهم (٦٠) يوماً، وجهلهم الواجب منها: (السؤال ٥٠).

- عن أعيادهم: عيد ميكائيل، وعيد الصليب، وعيد النور وغيرها... والتزامهم ما ليس بلازم: (السؤال ٥١، ٥٢، ١٠٤).

- عن السجود للتصاوير في الكنائس: (السؤال ١٥٣).

- عــن تجويزهــم على البــاري النــزول والطلــوع والحركة والسكون: (السؤال ٥٤).

- عــن أكلهــم الخنزيــر ومخالفتهــم التــوراة والإنجيــل: (السؤال ٥٥).

- عــن التزام النصارى أن الراهب والراهبة لا يتزوجون: (السؤال ٥٦).

- عن تركهم الاستسلام، ومباشرتهم القتال والانتصار ومدافعة الكفار والأخذ بالثأر - وهو مخالف لشرائعهم- وعن حكمهم بغير ما أنزل الله واتباع الأهوية في الأحكام: (السؤال ٥٧، ٥٨).

- عــن غضــب يوحنــا عــلى ربــه، ومنازعتــه في تصرفــه: (السؤال ٥٩).

- عن نفيهم كلام المسيح في المهد: (السؤال ٦٠).

- عن تسـبيحاتهم في مناسباتهم: (السؤال ٦٣، ٦٤، ٦٥، ٦٦).

- عـن قراءاتهم في صلواتهم، وما يلزمهم فيها: (السـؤال ٦٧، ٦٨، ٦٩، ٧٠، ٧١، ٧٢، ٧٣، ٧٤).

أسئلة لليهـود:

- عـن المعجـزة: حقيقتها، وثبوتها في حـق محمد ﷺ، وما يلزمهم من ذلك: (السؤال ٧٧، ٧٨).

- عن إسـلام خيار اليهود وإخبارهم بـأن مقتضى التوراة صحة نبوة محمد ﷺ: (السؤال ٧٩).

- عن وقوع النسخ عندهم: (السؤال ٨٠).

- عن اختلاط التـوراة بغيرها من التواريخ، وبكلام كثير ليس لموسـى... وتبديلها، واعتراف عقلاء اليهود بنبوة محمد - وإن خصصوها بالعرب - ... ومناقشـة بعض

مـا ورد في التوراة وتناقضها: (السـؤال ٨١، ٨٢، ٨٣، ٨٤، ٨٥، ٨٦، ٨٧، ٨٨، ٨٩، ٩٠، ٩١، ٩٢، ٩٣، ٩٤، ٩٥، ٩٦، ٩٧، ٩٨، ٩٩، ١٠٠، ١٠١).

عودة إلى أسئلة النصارى:

- عـن مخالفتهـم أحـكام التـوراة وتأويلهـم المحرمـات: (السؤال ١٠١).
- عن المعمودية ومستندها: (السؤال ١٠٢).
- عـن وضع النصارى لأنفسـهم قوانين من غير دليل من التوراة والإنجيل: (السؤال ١٠٣).
- عن القربان وتبديله: (السؤال ١٠٥).
- عن تقديس النصارى دورهم بالملح: (السؤال ١٠٦).
- عن التصليب ومستنده: (السؤال ١٠٧).

وقد دلَّ القرافي بهذه الأسئلة التي توجه بها إلى اليهود

والنصـارى على اطلاع واسـع على معتقداتهـم وأصولها، وكتبهـم ووثائقهم، ومدونات علمائهـم، وحياتهم اليومية وما فيها من عبادة وسلوك.

وكان في كثـير من الأسـئلة يعرض سـؤالاً ثـم يفرع عليـه فيقول: إن قالـوا: نعم قلنا كـذا، وإن قالوا: لا، قلنا كـذا، ممـا يفتح آفاقاً واسـعةً من الحـوار والمناظرة والجدل وتداول الأفكار والمفاهيم..

ولا شـك أنَّ علمه وتفننـه وذكاءه، والمناظرات التي وقعـت لـه مـع علـماء منهـم، كل هـذا أسـهم في وصوله إلى هـذه الأسـئلة وصياغتهـا هـذه الصياغـة، وشـمولها لـكل الموضوعـات التي تقـوم عليها حيـاة الطرف الآخر وثقافته.

ويقودنا هذا إلى القول بضرورة تسلح المحاور في هذا العصر بهذه الأسـلحة قبل دخولـه في هذا الميدان الفكري

الذي هـو الأسـاس في العلاقات السـلمية أو المنازعـات الحربيـة.

٢- إيراد البشائر بالنبي محمد ﷺ من كتبهم:

ولم يكتف القرافي بطرح الأسئلة على الطرف الآخر، بـل ذهـب إلى كتبهـم واسـتخرج منهـا مـا يراه بشـارات تتحـدث عن النبي العربي الخاتم، وقد فعل هذا «معارضة لاسـتدلالهم بكتابنـا على صحـة دينهم، بعد بيـان بطلان توهمهم صحة ما اعتمدوا عليه» [١].

وقد قدم لهذا بقوله: « قد نص الأنبياء عليهم السلام من إبراهيم عليه السـلام إلى المسيح عليه السلام على نبوة محمد ﷺ ورسالته، وأنه أفضل النبيين والمرسلين، ونصوا على اسـمه ونعتـه وحليته، وأرضه وبلده، وجميل سـيرته،

(١) الأجوبة الفاخرة ص ٤١٧.

وصلاح أمته، وسعادة ملته، وأنه من ولد إسماعيل عليه السلام، وأن دعوته تدوم إلى قيام الساعة»[1].

وليس من غرضي هنا استعراض هذه البشارات، وفي كلام القرافي هذا نبذة عن مجموعها، إلا أنني أقوم بتصنيفها من حيث مصادرها:

- فقد استنبط من التوراة البشارات الآتية: (١، ٢، ٣، ٤، ٥، ٦، ٧).
- ومن الإنجيل - وقد صرح باسم يوحنا ومتى- البشارات: (٨، ٩، ١٠، ١١، ١٢، ١٣، ١٤، ١٥، ١٦، ١٧، ١٨).
- ومن المزامير البشارات : (١٩، ٢٠، ٢١، ٢٢، ٢٣، ٢٤).
- ومن نبوة أشعيا: (٢٥، ٢٦، ٢٧، ٢٨، ٢٩، ٣٠، ٣١، ٣٢، ٣٣، ٣٤، ٣٥، ٣٦، ٣٧، ٣٨، ٣٩، ٥١).

---

(١) الأجوبة الفاخرة ص ٤١٧.

- ومن يوشاع: (٤٠).
- ومن سفر ميخا: (٤١).
- ومن حبقوق: (٤٢).
- ومن حزقيال: (٤٣، ٤٤).
- ومن دانيال: (٤٥، ٤٦، ٤٧، ٤٨).
- ومن رسالة يوحنا: (٤٩).
- ومن آرميا: (٥٠).

والمجموع إحدى وخمسون بشارة.

ولابد هنا من ذكر هذه الملحوظات:

- عزا القرافي بشارات إلى الإنجيل والمزامير ونبوة أشعيا، وبالرجوع إلى الطبعة المتداولة الآن لم يعثر المحقق عليها كما في البشارات (١٦، ٢٠، ٢٧، ٣٨، ٤٠، ٥١).

- وبعض البشارات عزاها القرافي إلى المزامير وهي في أشعيا كما في (٢٢).
- وفي بشارات أخرى وَرَدَ التصريح باسم النبي ﷺ، كما في (٣١، ٣٢، ٣٣، ٣٦، ٣٧، ٤٢، ٤٥)، وهذا لا وجود له في الطبعة المتداولة الآن، ولكن القرافي واثق مما ينقل حتى إنه يقول: «ولا يكاد أشعيا عليه السلام يهمل ذكر اسمه، كأنه عليه ضربة لازب، وحتم واجب، وإذا كانت الأنبياء والأصفياء يصرحون باسمه وجميع صفاته انقطعت أعذار أهل الكتاب»[1].

ومن ذلك أيضاً اختلاف الألفاظ بين المنقول والموجود الآن[2] والقرافي رجل ضابط حاذق، ولا يمكن أن يدَّعي ما ليس له وجود في كتب من يناظرهم ويجادلهم

(١) الأجوبة الفاخرة ص ٤٤٨.
(٢) ينظر على سبيل المثال ص ٤٥١، ٤٦١.

ويدعوهـم، لمـا في ذلك مـن إضعاف موقفه، وسـقوط حجتـه، ورد دعوته. وهذه المنقولات من كتب الطرف الآخـر تفتح مجالات واسـعة للـدرس في تأريخ كتبهم وترجمتها وتطورها واختلاف نسخها...



٣- أهدافــه:

كان للقـرافي في خوضـه هـذا الميدان أهـداف يمكن حصرها في هدفين:

الهدف الأول: تقوية المسلمين وتثبيتهم:

بعـد أن أورد القرافي على القوم (١٠٧) سـؤال وكان قـــد اضطـر إلى نقل مـا لديهم قـال: « ولنقتـصر على هذه الأسـئلة، فهـذا مهيـع واسـع، وضـلال شاسـع، كلماتهم الركيكـة أكثر مـن الحصى، وهفواتهم أكثـر من أن تحصى، وأنـا أسـتغفر الله العظيم مـن نقل كفرهم وسـوء أدبهم » وبين هدفه فقال: « وما الباعث على هذا إلا:

١- ليعلـم الناظـر في هـذا الكتاب من المسـلمين ما أنعـم الله عليـه من نعمـة الإسـلام، وأنه هـو الدين المبين

الحـق[1]، الجاري عـلى نسـق التوحيد والصـدق، كما قال الشاعر (المتنبي):

وبضدها تتميز الأشيـــاء

وقال غيره:

والضد يظهر حسنه الضد

٢- وليفهـم معنـى قولـه عليه السـلام: « **جئتكم بها بيضـاء نقيـة** » أي: لا يشـوبها ما يُتوهم أنـه نقص، وما لا يناقضهـا، جامعـة لمكارم الأخـلاق، ناهيـة عـن لئامها، قد اسـتبدلت عن هـذه الـركاكات في العبـارة بالفصاحة الفائقـة، وعن هـذه القبائح بالمنائح الرائقـة، فهذا بياضها الناصع ونقاؤها الجامع.

٣- وامتثـالاً لقولـه تعـالى: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن

(١) في الأصل: للحق. ولكني أرجح هذه القراءة.

يَنصُرُهُۥٓ ﴾ [الحج: ٤٠]، وقولـه: ﴿ فَلَا تَهِنُواْ وَتَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱلسَّلۡمِ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ ﴾ [محمد: ٣٥] ».

ثـم كشـف القـرافي عـن خشـيته مـن افتتـان بعـض المسلمين إذا لم يتم الرد فقال: « ومَنْ لا يقف من المسلمين عـلى سـخافة هذه الأديـان يعتقد أن شـبهتهم ربـما تكون قويـة، فإذا وقف على هذه القبائح علم أنهم في أعظم ظلم الضلالات يهيمون، وأنهم في دركات النار مرتهنون، فزاد لذلك في قلبه الإيمان، وعَظُمَ لله تعالى عليه الامتنان » [1].

ولهـــذا كان يتوجـه أحـياناً بالخطـاب إليهم فيقـول: « وأنتم معاشر المسلمين تعلمون... » [2].

---

(١) الأجوبة الفاخرة ص ٤١٢-٤١٣.

(٢) المصدر السابق ص ٢٥٢ ومثله ص ٣٨٢.

الهدف الثاني: دعوة الآخر إلى الإسلام:

وهـذا الهدف يتجلى من كلام القرافي في الكتاب كله، وعلى الخصوص حين ناقش قضية المعجزة فقد قال موجهاً كلامـه إلى اليهود: « حقيقـة المعجزة لا تختلف، وهي فعل خـارق يقترن به التحـدي. وهذا قد وجد في حق محمد بن عبـدالله ﷺ، كـما وُجد في حق موسـى عليه السـلام، فإن كانـت المعجزة لا تفيـد النبوة يلزمهـم أن لا يعتقدوا نبوة موسى عليه السلام، وإن أفادت يلزمهم اعتقاد نبوة محمد ﷺ ».

ثـم قـال: « وإنما قلنا إنه عليه السـلام جـاء بالمعجزة لأنـــه جـاء بالقـرآن في زمـن الفصحـاء البلغـاء، وسـأل جميعهـم أن يأتـوا بمثلـه فأعجزهـم، فسـألهم سـورة منه بحيـث تصدق على سـورة الكوثر فعجـزوا، فنادى بينهم عـلى رؤوس الأشـهاد بقولـه: ﴿ لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ

عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ [الإسراء: ٨٨] »[1].

ثم قـال: « وفيه من المعجــزات وجــوه كثيرة منــها» وعَدَّ إخباره عن المغيبات المستقبلات، وإخباره عن أحوال القـرون الماضية، وأنه لا يمل مع تطـاول الأزمان[2]. ثم ذكر مزايا هذه المعجزة[3].

وكان في موضع آخر قد تحدث عن محاسـن الشريعة، وذكـر منهـا عـشرة محاسـن، بدأهـا بقولـه: «أحدهـا: أن معجـزات جميـع الشرائـع ذهبت بذهـاب أنبيائهـا، فوقع الخبط في تلك الشرائع بعد طول المدة وموت الفرقة الذين شاهدوا المعجزات. وجاء قوم لم يشاهدوا نبياً ولا معجزة

(١) الأجوبة الفاخرة ص ٣٦٣ - ٣٦٤.

(٢) المصدر السابق ص ٣٦٤ - ٣٦٥.

(٣) المصدر السابق ص ٣٦٩.

فطغوا وبغـوا وضلوا وأضلوا، ودثرت تلك الشرائع بهذا السبب، فلم تتم المصلحة بسبب هذا العارض.

ومعجـزة شرعنا هـي القرآن الكريـم بوصفه ونظمه وما اشـتمل عليـه من المغيبات وحلاوة السـماع حلاوة لا تخلقها الآباد، ولا يسـأمها أحد بالـترداد. ووجدنا فيه من المعجزات نحو عشرة آلاف معجزة مسطورة في كتب هذا الشأن»[1].

ثم عـدد باقي المحاسـن وشرحها شرحـاً رائعاً، ولا يمكـن نقـل كلامـه - عـلى أهميتـه وجمالـه - لكنـي أذكر ملخصه:

٢- أن كل نبـي بعـث إلى قومـه خاصـة، ومحمد ﷺ بعث للثقلين.

---

(١) الأجوبة الفاخرة ص ١٦٤ - ١٦٦.

٣- أن هـذه الأمة خير أمّـة أخرجت للناس، فتكون شرائعهـا أفضـل الشرائـع لقولـه تعـالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ [آل عمـران: ١١٠]، ولأنهـا صَنَّفَـتْ مـن العلـوم مـا لم يُصنـف في ملـة مـن الملـل... ولأن العلـوم القديمة كلها إنما تحررت فيها... وقد بين القرافي هنا بربط ذكي رائع أن هذا إنما حصل لها ببركة شريعتها واتباع نبيها عليه السلام.

٤- أن الله تعـالى جعـل عبـادة هـذه الأمـة في هـذه الشريعة على نسق الملائكة...

٥- أن سائر الأمم أمرت بتطهير الباطن عن الرذائل والأخلاق الشيطانية فقط، وهذه الأمة أمروا بذلك، وزيد لها وحدها الأمر بتطهير الظاهر.

٦- أن هـذه الشريعـة أمـرت باسـتقبال أفضـل الجهات.

٧- أن هـذه الشريعـة راعت مصالـح الرجل والمرأة باعتدال.

٨- أن جميـع الشرائـع إنـما يـؤذن لهـم في الصلاة في البيـع، وشريعتنـا وردت بالصـلاة في كل موضع طاهر في جميع أقطار الأرض.

٩- أن جميـع الشرائـع لم تحـل فيهـا الغنائـم لأحـد، وأحلت في هذه الشريعة.

وهنا قال كلمة مهمة واعية وهي: « ومعلوم بالضرورة أن صون المال عن الضياع، والاستعانة على الدين والدنيا به أوقع في نظر الحكمة، وأتم في مراعاة المصلحة ».

١٠- إنـا لا نعلـم في شريعـة مـن الشرائـع إعلامـاً بالأوقـات المعينـات للصلـوات بـشيء يشـتمل عـلى مصلحة غـير الإعلام... وشرع في هـذه الشريعة الأذان،

فحصل الإعلام، ومصلحةٌ أفضـل وهي الثناء على الملك العلام...»[1].

ولا يخفى أن عرض هذه المحاسن وشرحها والتذكير منها يؤدي أكثر من غرض، ويخدم الهدفين اللذين تغياهما القرافي، وهو - رحمه الله - ما فتئ يتناول محاسـن الشريعة في ثنايـا كلامه، ويبـين غنى التشريع الإسـلامي، وفقر ما لدى الآخرين، استمع إليه وهو يقول:

« إنه ليس يشـتمل « ديوان فقـه » النصارى على أكثر مـن خمس مئة مسـألة ونيف، لم ينقلوها عن المسـيح، فهي أيضـاً في نفسـها باطلـة، ولو أنهـا صحيحـة، فالصلوات وحدهـا تحتـاج آلافـاً من المسـائل، فأين أحـكام الله تعالى في بقيـة العبادات، والأنكحـة، والمعامـلات، والأقضية، والجنايـات، والودائـع، والرهون، والديـون، والإتلاف، إلى غير ذلك من أحكام الله تعالى في التصرفات؟

(١) الأجوبة الفاخرة ص ١٦٦-١٧٦.

وأقل مختصر عند المسلمين يحتوي على عشرة آلاف مسألة، ومع ذلك فهو قطرة في بحر، فكيف خمس مئة مسألة! [1].

ثم ذكر حقيقة مهمة فقال: «وأكثر رجوعهم إلى أحكام المسلمين مع أنها عندهم باطلة!» [2].

ولهذا دلالات واسعة منها التعايش السلمي بين المسلمين ومجاوريهم ومساكينهم من أهل الملل الأخرى، وهذا الموضوع جدير بالبحث الجاد ليكشف عن وقائعه وأبعاده وقيمته.

ومما يدل على إرادته دعوتهم إلى الإسلام تصريحه أنه رجا من رده وأسئلته أن يجعل الله «ذلك تنبيهاً لبعض الغافلين فيستيقظ لرؤية هذه المساوئ القبيحة» [3].

---

(١) الأجوبة الفاخرة ص ٣٤٦.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق ص ٦٦.

وقولـه: « فليبـادر كل عاقل حينئذ للإسـلام فيدخل الجنة بسلام »[1].

* * *

(١) الأجوبة الفاخرة ص ٨١.

٤ – لغته:

تراوحت لغـة القرافي بين اللين والاحترام، والشـدة والسـخرية، إلا أنـه في بعض الأحيان كان يشـتد كثيراً في وصـف الطرف الآخر، وربما حصل له هذا حين يصل إلى نقاط حاسمة فلا يملك نفسه من الانفعال.

وأستعرض هنا بعض عباراته:

– « إن النصارى أمة عمياء، وطائفة جهلاء » [(١)].

– «.. فإن مخاطبة البهائم من السفه» [(٢)].

– «.. لـو أن اليهـود بالغـوا في الهـزء والسـخرية بالنصارى ما قدروا أن يقولوا أكثر من هذا الهذيان» [(٣)].

---

(١) الأجوبة الفاخرة ص ٥٣ .

(٢) المصدر السابق ص ٦٦ ومثله تقريبا في ١٤٤ .

(٣) المصدر السابق ص ١١٨.

- « فهـم جديـرون بـأن يُضحك عليهم أبـد الدهر، وإن شئت قلت: يُبكى عليهم »[1].

- « ولقـد عـذرتُ بعـضَ الفضـلاء لما سـمعته يوماً يقول: النصارى عرة على ولد آدم »[2].

- « ينبغي لهذه الطائفة النصرانية أَنْ تَبكي وتنوح على فقد العقل قبل أن تبكي على فقد الدين »[3].

- « أي ضرورة تدعوكـم إلى إثبـات أنـواع الإهانـة والعـذاب في حـق رب الأربـاب، عـلى زعمكـم أيهـا الدواب...»[4].

- « هـم في الجهالـة والضلالة وقلة العقـل بل عدمه كالفأر الأعور، يرى الخبز ولا يرى القط ...»[5].

---

(١) الأجوبة الفاخرة ص ١٢٢ .

(٢) المصدر السابق ص ١٢٣ .

(٣) المصدر السابق ص ١٤٧ – ١٤٨ .

(٤) المصدر السابق ص ١٩٨ .

(٥) المصدر السابق ص ٢٩١ .

- «.. لكن المشايخ الذين لفقوا الأمانة كانوا من التياسة والجهالة في أبعد غاية »[1].

- «.. فكيف يكون مثل هذا قديساً ؟ بل حماراً وتيساً حسيساً »[2].

- « .. كيف اشتملت تلك المحافل على تيوس الأنعام بل حشرات الهوام »[3].

- « وهذه صلاة لو تقرب بها إلى كانس الكنيف، لأشبعهم بالضرب العنيف، وأنف أن يكون هؤلاء من خدمه، أو معدودين من حشمه »[4].

- « وهذا حكم المجانين والضعفة المغفلين»[5].

- «فليت الفجل يهضم نفسه»[6].

---

(١) الأجوبة الفاخرة ص ٣١٢ .

(٢) المصدر السابق ص ٣١٧ .

(٣) المصدر السابق ص ٣٣٠ .

(٤) المصدر السابق ص ٣٣٢ .

(٥) المصدر السابق ص ٣٤٧.

(٦) السابق ص ٣٩٩ وانظر أيضاً ص: ١٤١، ٣٤٠، ٣٥٥، ٣٥٨، ٣٧٨، ٣٨٠ .

٥- مصادره:

كان اعتماد القرافي الأساس على القرآن الكريم، وكتب القوم: التوراة والإنجيل وما ألحق بهما.

وهو ينقل عن المفسرين ولا يصرح بكتاب معين[١].

ونقل عن المؤرخين وأرباب النقل[٢]. ولم يصرح إلا بكتاب واحد هو « تاريخ المُسَبِّحي »[٣].

وذكر كتب النفط والرماية[٤]، ولم يصرح بواحدٍ منها.

---

(١) انظر ص ٩٨.

(٢) انظر ص ٣٠٨، ٣٢٣، ٣٣٥.

(٣) انظر ص ٥٤، ٦٠، ٢٦٤ . وقد تحرف في هذه المواضع كلها إلى: المسيحي ! وهو: محمد بن عبيد الله بن أحمد المسبحي الحراني (ت: ٤٢٠ هـ). انظر: الوافي بالوفيات (٤/ ٩).

(٤) انظر ص ٦٤.

وذكر كتب النصارى الفقهية[1]، ولم يعين واحداً منها، لكنه عين كتب حفص القسيس ونقل منها [2].

نقل من « مصحف العالم » لتمشتين زعيم القسيسين بطليطلة (ت: ٤٣٠ م)[3].

وقال: « قال المفسرون لكتب دانيال ». ولم يعين أحداً [4].

وذكر من كتب اللغة: الصحاح للجوهري[5]، والغريب المصنف لأبي عبيد [6].

---

(١) انظر ص ٣٢٨، ٣٤٦، ٣٩٣، ٤٠١ .

(٢) انظر ص ٣٣٤، ٤٠٤، ٤٠٥، ٤٠٩، ٤١٠ .

(٣) انظر ص ٢٦٨ .

(٤) انظر ص ٤٥٨ .

(٥) انظر ص ٣٠٥ .

(٦) انظر ص ٣٩٢ وقد أخذ النص هنا من (الإعلام) للقرطبي.

وذكر كتاب البيهقي في أحوال القيامة[1] ولم ينقل منه.

وأحال على كتبه الكلامية، وعيّن منها شرح الأربعين للإمام فخر الدين الرازي [2].

ولابد من القول أنه أفاد - فيما ظهر لي - مما كُتب قبله في هذا المجال، كـ:

١ - الإعـلام بمناقب الإسـلام للعامري (ت: ٣٨١ هـ)، ولعله انطلق في كلامه على علوم الأمة الإسلامية من الفصـل العـاشر فيه، وهـو في « القول في فضيلة الإسـلام بإضافته إلى المعارف »[3].

٢- الفصل لابن حزم (ت: ٤٥٦ هـ).

---

(١) انظر ص ٢٣٥ . والمقصود كتابه « البعث والنشور ».

(٢) انظر ص ١٤٠، ١٤٦ .

(٣) انظر: الإعلام بمناقب الإسلام ص ١٧٩-١٨٣ .

٣- بذل المجهود في إفحام اليهود للحكيم السموأل ابن يحيى المغربي (ت: ٥٧٠هـ)[١]، وقد جاء عند القرافي نقل بالعبرية، فظننت أن القرافي يحسنها، ثم وجدت الكلام كذلك في « بذل المجهود » هذا.

٤- مقامع هامات الصلبان ومراتع روضات الإيمان للخزرجي الفاسي (ت:٥٨٢ هـ)، وقد استفاد منه كثيراً[٢].

٥-الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام للقرطبي المحدِّث (ت: ٦٥٦ هـ)[٣].

---

(١) فما جاء في الأجوبة الفاخرة ص ٢٣٩-٢٤١ مأخوذ منه من ص ١٢٥-١٣٤.

(٢) طبع بعنوان: بين الإسلام والمسيحية. وما قاله القرافي عن شبهة انتشار الإسلام بالسيف ص ٢٦٣-٢٦٧ مأخوذ منه ص ٣٤٨-٣٥٢.

(٣) لا يتسع المجال لذكر الأدلة على ذلك.

ويستغرب من القرافي أنه أغفل ذكر هذه الكتب، مع أننا نجده في بعض كتبه الأخرى يلتزم بعزو كل قول لقائله، وكل سؤال لمورده، وكل جواب لمفيده كما في « نفائس الأصول في شرح المحصول »[(١)] ، ولو عملت

---

(١) قال في مقدمته (١/ ٩١): « جمعت له نحو ثلاثين تصنيفاً في أصول الفقه للمتقدمين والمتأخرين، من أهل السنة والمعتزلة، وأرباب المذاهب الأربعة » . وبعد أن عددها قال (١/ ٩٦): « والتزمت أن أعزو كل قولٍ لقائله، وكل سؤال لمورده، وكل جوابٍ لمفيده، ليكون المطالع لهذا الشرح ينقل عن تلك الكتب العديدة الجليلة الغريبة، فيكون ذلك أجمل من النقل عن كتابٍ واحد في التدريس والإفادة، وعند المناظرات، وليكون إذا وقع خلل فيما نقلته وقد أعزيته إلى موضع يستدرك من الموضع الذي أعزيته إليه، ويمكن استدراكه من أصله، فيكون ذلك أيسر لتحقيق الصواب ورفع الخطأ » . ويضاف إلى هذا الاعتراف بفضل السابق وعدم غمطه حقه، وهذه كلها مقاصد جليلة ينبغي الالتزام بها.

مقابلة لـ «الأجوبة الفاخرة» بما كتبه العلماء من قبل تبين لنا ما أخذه مما أتى به هو، ولا شك أنه أتى بالكثير إذ طرح على القوم كثيراً من الأسـئلة التـي لم يوقف عليها عند ابن حـزم أو الغزالي أو القرطبي أو أبي عبيدة الخزرجي[1]، كما أن تقسـيمه لكتابه، والمنهجيـة التي اتبعها، كانت ممتازة في الإحكام والتنظيم.



(١) انظر مقدمة المحقق ص ١٠.

٦- ملامح عامة في حواره:

في دراسـتي لكتاب القرافي وضعت يدي على ملامح مهمـة أرى مـن المفيـد أن أعرضهـا هنـا بشـكل موجـز وسريع:

- كان القـرافي دائـم الإشـادة بالأمـة الإسـلامية وعلومها، وما تحقق على يد علمائها، واختصاصها بمعاقل العلـوم وأزمتهـا [1]، وقد عزا - تبعـاً للقرطبي - تميز مَنْ تميز من علماء النصارى إلى نشأته بين المسلمين وتعلمه من علومهم [2].

- كان القرافي شديد الثقة بنفسه وأحقية موقفه، فهو يجزم أن أسئلته لهم يتعذر عليهم الجواب عنها [3] ويحلف

---

(١) انظر: ص ٤٦-٤٧، ١٦٨-١٦٩، ١٨٠، ٢٣٥، ٢٣٧، ٢٨٣، ٣١٠ .

(٢) انظر ص ٣٣٣ .

(٣) انظر ص ٤٩ .

- تبعاً للخزرجي - أن تاريخ الطبري أصح نقلاً من الإنجيل، ويعتمد عليه العاقل أكثر ...[1].

- كان القرافي كثير الانتقاد لهم لغلبة التقليد عليهم[2] وعدم معرفتهم بلسان العرب في احتجاجهم فيقول: « فمن كان يعرف لسان العرب حق معرفته في إضافاته وتعريفاته وتخصيصاته وتعميماته وإطلاقاته وتقييداته وسائر أنواع استعمالاته فليتحدث به ويستدل به، ومن ليس كذلك فليقلد أهله العلماء به ويترك الخوض فيما لا يعنيه ولا يعرفه»[3] . وانتقدهم لأنهم يفسرون بعض النصوص بما يخالف إجماع المسلمين على تفسيرها [4]،

---

(١) انظر ص ١٢١ .

(٢) انظر ص ٥٣ .

(٣) انظر ص ٨٩، ٩٠ .

(٤) انظر ص ١٠٠ .

ولتحريفهم القرآن وتغيير معناه لأغراضهم [١]، وانتقدهم لعدم علمهم بعلم الكلام[٢]، ولمخالفتهم أحكام الإنجيل بإقبالهم على القتال وسفك الدماء [٣].

- كان القرافي واسع الاطلاع على أحوال القوم في بلادهم وبلاد المسلمين التي احتلوها كـ « عكا »[٤] وواسع المعرفة بما لجأوا إليه من تخييلات موهمة وأباطيل مزخرفة [٥]، وما يجري في بلادهم من مناظرات المسلمين لهم [٦].

---

(١) انظر ص ١٣٠ - ١٣١، ١٣٩، ١٤٥ .

(٢) انظر ص ١٥٣، ٣٥٧ .

(٣) انظر ص ٣٤٥ .

(٤) انظر كلامه ص ٥٥، ٥٧، ٣٣١، ٣٤٦، ٤٠٠ .

(٥) انظر ص ٦١، ٦٥ .

(٦) انظر ص ٢٩٢ .

- كان يعيد بعض المعلومات للتبكيت: كتفضيله كتب التاريخ الإسلامي على التوراة والإنجيل[1]، ويعيدها للتأكيد: كفعلهم في الفصل في دعاوى القتل[2].

- وكان كثيراً ما يغمزهم ويلومهم على تخلفهم في مجال النظافة والطهارة، ويصفهم ويصف حالتهم بشكل مثير! ويباهي بطهارة المسلمين ونظافتهم[3].

- وكان يعزِّز كلامه بذكر إسلام كثيرٍ منهم[4].

- ويذكر مناظراته معهم[5].

- كان في كثير من الأحيان يذكِّرهم بعدم وجود

---

(١) انظر ص ١٢١، ١٨٦، ٢٤٤، ٢٥٥ .

(٢) انظر ص ٥٧، ٣٤٦ .

(٣) انظر ص : ٦١، ١٧٠، ٣٢٠، ٣٣٢، ٣٥٨ .

(٤) انظر ص ٣٢٠ .

(٥) انظر ص : ٦٦، ٣٠٧، ٣٠٨ .

الإسـناد لديهم، ويباهـي بوجوده لدى المسـلمين حتى في أمور لا تحتاجه [1].

- وربما دلهم على مخـارج يتخلصون بها من إلزامات تلزمهم [2].

- كان يستطرد أحياناً استطرادات مهمة جداً كقوله: « كثر التنبيه على أحـوال الآخـرة في شرعنا أكثر من التوراة والإنجيـل حتى لم يكثـر الله تعالى ذكر شيء في القرآن أكثر مـن ذكـر البعث »، ثـم إجابته على سـبب هـذا من وجوه أربعـة [3].

- وكان يشـير إلى توافق التوراة والإنجيل مع القرآن

---

(١) انظر ص: ١٥٢، ١٨٦، ٢٤٤، ٢٨٢، ٣٤١.

(٢) انظر ص: ٤٠٨ .

(٣) انظر ص: ٢٣٤- ٢٣٨ .

في بعض المواضع [1]. وهذا التوافق يدل على بقايا سلمت مـن التحريف، وهـو مـن الموضوعات الجديـرة بالبحث والتتبع والاستقصاء.

- وغنـي عـن القـول مـا ظهـر مـن علمـه الواسـع واطلاعـه الغزير على كتبهـم وموروثاتهم، ومحاججته لهم بما فيها بصورة اسـتقرائية تامة [2] وكان في بعض الأحيان يشير إلى وقوفه على نسخ من التوراة مختلفة[3] مما يدل على تتبع جاد دقيق.



---

(١) انظر ص: ٢٩٧، ٣٠٢، ٣٥٠ .

(٢) انظـر ص:١٠٣، ٢١٦، ٣٣١ - ٣٣٤، ٢٥٧، ٢٨٢، ٢٩٠، ٢٩٥، ٣٤٠، ٣٥٤، ٤٠٤ .

(٣) انظر ص : ٢٥٥- ٢٥٦ .

٧- النتائج والتوصيات:

(أ) النتائج:

- كان القـرافي من أئمة المسـلمين المتميزين في القرن السابع الهجري، ولمؤلفاته قيمة كبرى.

- كان علماء المسلمين يبادرون إلى الرد على أي شبهة تثـار ضد الإسـلام، ممـا يدل عـلى حضورهم الراسـخ في المجتمع، ووعيهم بما حولهم.

- اعتمـد القـرافي أسـلوب الدفـاع إذ رَدَّ على (٣٠) شبهة وسؤالاً، وأسلوب الهجوم إذ عرض (١٠٧) سؤال يـرى أنه يتعذر عـلى الآخر الجواب عنهـا، وكانت أهدافه عالية نبيلة، وان اتسمت لغته أحياناً بالقسوة الجارحة.

- وُفِّـق القـرافي كثـيراً في عرضـه محاسـن الشريعـة

الإيجابيـة والعلمية والعملية، وإظهـاره تميز الأمة في مجال العلـوم: مـا ابتكرته ومـا نقحته، وهـذا الجانـب من أهم الجوانـب التي تولى بيانها وشرحهـا، ولا بد أنه كان عظيم التأثير في الآخر.

- أظهـر القـرافي أمانـة علـماء المسـلمين وإنصافهـم الشـديد في حكاية أقوال الطرف الآخر على الرغم مما فيها من إساءة. وهذا مما يجب أن يلتزم به المحاور المسلم إذ هو لايخشى من شيء.

- نبه القرافي أهل الكتاب على أخطاء منهجية فادحة يرتكبونهـا في حوارهم كتحريفهم معاني القران، وجهلهم بلغـة العرب، ومخالفتهم إجماع المسـلمين على معانٍ قرآنية مقررة .

- كـما نبههم مراراً على مخالفتهـم لتوجيهات كتبهم،

ومـن ذلـك إقـدام النصارى عـلى القتال وسـفك الدماء، وتخليهم عن المسالمة والموادعة .

- كشـفت الأمثلة التي أوردها القرافي على الآخرين عـن علـم غزير، واطلاع واسـع عـلى ما للقـوم من كتب وموروثـات وعـادات، حتـى إنـه كان يراجع نسـخاً من التـوراة ولايكتفي بنسـخة واحدة. وأفادت هـذه القدرة العلميـة ضرورة إحاطـة المحـاوِر كذلـك بـكل مـا لدى محـاوره.

- دلت دراسـة كتابه على ثقـة عالية بالنفس، وبالأمة وعلومهـا، وهـذا ممـا يجـب أن يتحلى بـه المحـاور ليكون لكلامه تأثير ونفوذ لدى الآخر.

* * *

(ب) التوصيات:

- أوصي بإعـادة تحقيـق هـذا الكتـاب تحقيقـاً علمياً دقيقـاً، والنظر في أمر تهذيبـه من الألفاظ الجارحة حتى لا تحول دون إفادة الآخرين منه، وترجمته إلى اللغات الحية.

- والعناية التامة بأمثاله من الكتب التي ناقشت أهل الكتاب جمعاً وإحصاءً ودراسةً ونشراً.

- كـما أوصي بجمع الشـبهات التـي تفرقت في كتب العلـماء وجمع أطـراف الرد عليها، مما كتبـه هؤلاء العلماء، ومما قام به العلماء من بعدهم، وأن يكون بأسلوب عصري تسهل قراءته وفهمه.



خلاصة الرسالة [1]

باسمه سبحانه، وله الحمد

القرافي عَلَم بارز من أعلام القرن السابع الهجري، مراكشي الأصل، مصري المولد والوفاة، احترق ذكاءً وتوقداً فمات عن ثمان وخمسين سنة، مخلّفاً ثروة علمية متميزة محررة، وقد كان هذا همّه في حياته فحرر أحد عشر علماً في ثمانية أشهر، أو ثمانية علوم في أحد عشر شهراً .

أقام في القرافة مدة يسيرة فنُسب إليها، وطارت شهرته بها، ثم احتضنته مع أبرز شيوخه العز ابن عبد السلام في ثراها .

شهد القرافي سقوط بغداد وانطواء الدولة العباسية،

---

(١) ألقيت هذه الخلاصة في مؤتمر « الحوار مع الآخر في الفكر الإسلامي » المذكور في ص ٩ .

وسقوط دمشق وانتهاء الدولة الأيوبية، كما شهد عودة الأمل الشارد، وقيام المجد المنهار في معركة عين جالوت، ثم جولات الظاهر بيبرس المظفرة في بلاد الشام ومصر، ومحاولاته استرجاع العراق الأسير.

لا نعلم إن كان القرافي شارك في شيء من تلك المعارك العسكرية أو لا ، إلا أننا على يقينٍ أنه كان في طليعة الكتائب المتأهبة في الميادين الفكرية، وكان يُلبِّي نداء الأمة كلما استصرختْ همم الغيارى، واستنجدت بعقولهم وأقلامهم.

ولهذا فيوم ألّف بعض النصارى رسالة تتضمن خمس عشرة شبهة مشتملة على الاحتجاج بالقرآن على صحة مذهب النصارى هبَّ القرافي ليكشف تلك الشبهات، وينقض تلك المقولات.

ولم يكتف بهذا بل إنه أحصى كذلك خمسة عشر سؤالاً يوردونها على المسلمين وأجاب عليها، وربما أجاب على سؤال من ثمانية عشر وجهاً .

كان هذا يمثل موقف الدفاع.

ثم جاءت جولة ثالثة تمثل موقف المبادرة والهجوم فهاهو يورد على القوم مئة وسبعة أسئلة جامعة شاملة ويطالب القوم بالجواب عليها، وكان من الثقة بحيث كان يرى أنه يتعذر عليهم الجواب عليها.

ثم إذا كانوا يستخرجون من القرآن ما يشهد لهم - ظناً خاطئاً وتحريفاً متعمداً منهم - فهاهو يستخرج من كتبهم أكثر من خمسين نصاً تتحدث عن نبي الإسلام وأمته تصريحاً وتلميحاً .

مـن هذه الجـولات الأربـع انتظـم كتابـه « الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة ».

ثلاثـون خطوة منهم قابلتها مئة وسـتون خطوة من القرافي، وكان هذا يعكس قوة الموقف الإسلامي وصلابته في ميادين الصراع الفكري إلى جانب الصراع العسكري الذي كان يشـهد غـروب الوجـود الصليبي في السـاحل الشامي وقلاعه، عدا « عكا » المعقل الأخير التي لم تكتحل عين القرافي بعودتها إلى أهلها، إذ توفي قبل تحريرها بسـت سـنوات، وقد ذكرها مرتين مستشـهداً بما يقع للقوم فيها، وهـي مدينة من مدن متعددة غربية وغيرها ذَكَرَ القرافي ما يفعلون فيها، مما يدل على اطلاع واسع على أحوال عصره، وكأن العالم في كفه ينظر إليه .

*** ماذا يمكن أن نتعلم من القرافي؟**

*** * إن أبرز ما ميّز تجربة هذا العالم سبع إضاءات :**

١ – علمــه الدقيق الغزير الشــامل بما لــدى الآخرين من علم وثقافة وسـلوك، وكتــب وموروثات، ومحاججته لهم بما فيها بصورة استقرائية تامة، وكان في بعض الأحيان يشـير إلى وقوفه على نسـخ من التوراة مختلفة، مما يدل على تتبع جاد.

٢ – علمه الواسـع الكبير بجهود العلماء السـابقين في هذا الباب من المشرق والمغرب .

٣ – أمانته القصوى في ذكر أقوالهم وأنقالهم، وإنصافه لهم ونصيحته المخلصة لهم بطرح التقليد والتحرر منه.

٤ – ثقته الشـديدة بنفسه وأحقية موقفه. ولهذا لم يبال

بقولهم إن الإسلام استخدم السيف بل عكس القضية وقال: نحن منسجمون مع أنفسنا، أما أنتم فكتابكم يأمركم بالمسالمة ومع ذلك ملأتم الأرض بالدماء والأشلاء فمن أحق بالجواب منّا؟.

٥- إشادته الدائمة بالأمة الإسلامية وعلومها، وما تحقق على يد علمائها، واختصاصها بمعاقل العلوم وأزمتها.

٦- إشارته المهمة إلى توافق التوراة والإنجيل مع القرآن في بعض المواضع. وهذا التوافق يدل على بقايا سلمت من التحريف، وهو من الموضوعات الجديرة بالبحث والتتبع والاستقصاء.

٧- إنه لم يستعد السلطات الحاكمة على أي أحد، بل اكتفى بالمحاجة والجدل والحوار.

هـذه الإضاءات السـبع كلها مما يجـب أن نتعلمه من القرافي الآن.

*** والآن فما هي أهدافه ؟**

** كان القرافي يهدف إلى تقوية المسـلمين وتثبيتهم، ودعوة الآخرين إلى الإسـلام، ومن أفضل ما نستفيده منه هنا أسلوبه المتمثل بما كتبه عن محاسن الشريعة الإسلامية، وعمّا قدّمه المسلمون للإنسانية من علوم ابتكروها، وعلوم قديمة صححوها ونقّحوها، وحرروها وطوروها، وبهذه اللفتـات سـبق القـرافي عـصره، وبـدا وكأنـه يتحدث في عصرنا .

هـذا إلى جانب ما باهى به مراراً وتكراراً من المستوى الحضاري للأمة متمثلاً بنظافة ظواهرها وبواطنها إلى حدّ السخرية بتدني هذا الجانب لدى الآخرين .

إننـي أدعو إلى إيلاء هذا المنحى الذي نحاه القرافي في إظهار محاسن الشريعة وفضل الأمة في تقدّم العلوم، أدعو إلى إيلائـه أقصى العناية والاهتمام، واعتماده أسـلوباً فعالاً في الحوار وتقديم أنفسنا إلى العالم .

ومما نستفيده من القرافي حديثه الممتع كذلك عن غنى التشريع الإسـلامي وفقر ما لدى الآخرين، وذكره حقيقة مهمـة جداً عـن كثـرة رجوعهـم إلى أحكام المسـلمين في حياتهم اليومية، مما يكشف التعايش السلمي بين المسلمين ومجاوريهم ومسـاكنيهم من أهل الملل الأخرى، وبهذا نرد على مَنْ يحاول الاصطيـاد في الماء العكر محاولاً زرع الفتنة بين المسلمين وأهل الذمة .

أمـا لغته فكانـت من المتانـة بحيث يمكنـك وصفها

بأنها نحت في صخر، وليست هباءً يطير في الهواء، إلا أنه كان -أحياناً- إذا وصل إلى نقطةٍ حاسمةٍ أو وصل إلى ذروةِ الاشتباك كان لا يملك نفسه من الانفعال، فيصف الآخرين بصفات قاسية وربما جارحة، وقد ردد مراراً أنه لا يريد منهم دليلاً على صحة معتقدهم، وأنه يقنع منهم أن يصوروا مذهبهم تصويراً يقبله العقل فقط.

لهذا ولما تقدم أوصي بالاستفادة الجادة من كتابه هذا بعد تحقيقه تحقيقاً علمياً، والنظر في أمر تهذيبه من هذه الألفاظ، وترجمته إلى اللغات الأخرى، ففي المعلومات التي اشتمل عليها، وفي الأسئلة الكبيرة التي طرحها ما يثير استفهامات ضخمة في نفوس الآخرين، ويفتح آفاقاً واسعة من الحوار، والسؤالُ أسلوبٌ ذكيٌّ هادئٌ وإن كان يمنع النوم عن المسؤول..

سـلام على القـرافي حين خطـت أنامله هـذا الكتاب الخالـد، وسـلام عليه منا اليوم وهو يرقد في سـفح المقطم بمصر هانئاً إن شاء الله برضا الله ورضوانه.

* * *

المصادر

١- الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة: للقرافي (ت: ٦٨٤هـ)، تحـ: د. بكر زكي عوض، مكتبة وهبة، القاهرة، ط٢ (١٤٠٧/ ١٩٨٧م).

٢- أدلة الوحدانية في الرد على النصرانية: للقرافي (ولا تصح هذه النسبة، وقد نسب على الغلاف وعلى الصفحة الثالثة إلى محمد بن صفي الدين الحنفي ٦٢٦-٦٨٤ هـ، وهذا تاريخ ولادة القرافي ووفاته)، تحـ:عبد الرحمن دمشقية، (د.ن)، ط١(١٤٠٨هـ-١٩٨٨).

٣- إرشاد الحيارى في الرد على النصارى: للديريني (ت:٦٩٤هـ)، مكتبة المليجي، القاهرة (د.ت) .

٤- الاستغناء في أحكام الاستثناء: للقرافي، تحـ: د.طه محسن، منشورات وزارة الأوقاف العراقية، بغداد، ط ١ (١٤٠٢هـ- ١٩٨٢م).

٥- الأعلام: للـزركلي (ت: ١٣٩٦هـ)، دار العلم للملايين، بيروت، ط١١ (١٩٩٥م).

٦- الإعـلام بمناقـب الإسـلام: للعامـري (ت:٣٨١هــ)، تحــ: د. أحمد عبد الحميد غـراب، دار الأصالة، الرياض، السعودية، ط١ (١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م).

٧- الإعـلام بـما في ديـن النصـارى مـن الفسـاد والأوهـام: للقرطبي (ت:٦٥٦هـ) تحـ: د. أحمد حجازي السـقا . دار التراث العربي (د. ط. ت).

٨- الإمام القرطبي شـيخ أئمة التفسير: لمشهور حسن محمود سـلمان، ضمن سلسلة «أعلام المسلمين» برقم «٤١»، دار القلم، دمشق ط١(١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م).

٩- الانتصـارات الإسـلامية في كشـف شـبه النصرانيـة: للطوفي(ت:٧١٦)، تحـ: د.أحمد حجازي السـقا. القاهرة (١٩٨٣م).

١٠- بـذل المجهـود في إفحـام اليهود: للحكيم السـموأل بن يحيى المغربي (ت: ٥٧٠هـ)، تحـ: عبدالوهاب طويلة، دار القلم، دمشق، ط١ (١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م).

١١- بـين الإسـلام والمسـيحية (مقامـع هامـات الصلبـان): للخزرجي (ت:٥٨٢هـ)، تحـ:محمد شـامة، مطبعة المدني القاهرة، ط٢ (١٩٧٥م).

١٢- تاريـخ الإسـلام ووفيـات المشـاهير والأعلام:للذهبي (ت: ٧٤٨هــ)، تحــ: د. عمـر عبدالسـلام تدمـري، دار الكتاب العربي، بيروت.

١٣- تذكـرة المحسـنين بوفيـات الأعيـان وحوادث السـنين: لعبـد الكبير الفاسي (ت: ١٢٩٥هــ)، تحـ: محمد حجي، ضمن «موسـوعة أعلام المغرب»، دار الغرب الإسلامي، ط١ (١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م).

١٤- الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح: لابن تيمية (ت:

٧٢٨هـ)، تحـ: علي بن حسن بن ناصر وآخرين، دار العاصمة، الرياض، ط١(١٤١٤هـ).

١٥- الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب: لابن فرحون المالكي (ت: ٧٩٩هـ)، تحـ: د. محمد الأحمدي أبو النور، دار التراث، القاهرة.

١٦- رحلات أحمد بن عمر الأنصاري القرطبي (ت: ٦٥٦ هـ) في المغرب والمشرق ومؤلفاته العلمية: لسمير القدوري، بحث في مجلة مكتبة الملك فهد الوطنية، مج٢، العدد (١١) (٢٠٠٥-٢٠٠٦م) منشور على شبكة المعلومات الدولية.

١٧- سير أعلام النبلاء: للذهبي، تحـ: مجموعة من المحققين، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١٠ (١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م).

١٨- شجرة النور الزكية في طبقات المالكية: لمخلوف (ت: ١٣٦٠هـ)، دار الفكر، بيروت.

١٩- العقد المنظوم في الخصوص والعموم: للقرافي، تحـ: محمد علوي بنصر، منشورات وزارة الأوقاف المغربية، ط١ (١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م).

٢٠- علم الملل ومناهج العلماء فيه: للدكتور أحمد بن عبد الله جود، دار الفضيلة، الرياض، السعودية، ط١ (١٤٠٥ هـ - ٢٠٠٥م).

٢١- المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي: لابن تغري بردي (ت: ٨٧٤هـ)، تحـ: د. محمد محمد أمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (١٩٨٤م).

٢٢- من هو القرطبي الذي رد على كتاب تثليث الوحدانية لنصارى طليطلة؟: لسمير القدوري. منشور على شبكة المعلومات الدولية.

٢٣- نفائس الأصول في شرح المحصول: للقرافي، تحـ: عادل أحمد عبدالموجود وعلي محمد معوض، مكتبة نزار الباز، ط١ (١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م).

٢٤- هديـة العارفـين: للبغدادي (ت: ١٣٣٩هــ)، مصورة مؤسسة التاريخ العربي.

٢٥- هـل القرطبـي المفـسر هـو مؤلـف كتـاب الإعـلام بـما في ديـن النصـارى مـن الأوهـام ؟: للدكتـور محمـد بـن إبراهيم أبا الخيل (أسـتاذ مسـاعد في كليـة العلوم العربية والاجتماعيـة بجامعـة الإمام محمد بن سـعود الإسـلامية بالقصيم). منشـور على شـبكة المعلومات الدولية بتاريخ ١٠/ ١١/ ١٤٢٣هـ - ٢٤/ ١/ ٢٠٠٢م.

٢٦- الوافي بالوفيات: للصفدي (ت: ٧٦٤هـ)، تحـ: مجموعة من المحققين، منشورات فرانز شتايز شتوتكارت.

* * *

الفهرس

❊ ❊ ❊